المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
فرع العقيدة

القول المُنْبِي عن ترجمة ابن العربي

تأليف:

الحافظ الناقد محمد بن عبد الرحمن السخاوي

(٨٣١هـ - ٩٠٢هـ)

تحقيق ودراسة:

القسم الأول من بداية المخطوط إلى اللوحة ١٣٠ب

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب:

خالد بن العربي مُدرِك

إشراف:

فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمود محمد مزروعة

الجزء الأول

١٤٢١هـ - ١٤٢٢هـ

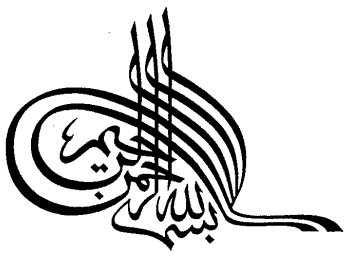
بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

عالجت الرسالة مذهب ابن العربي الصوفي، وموقف العلماء منه، من خلال كتاب الحافظ السخاوي **القول المنبي عن ترجمة ابن العربي** دراسة وتحقيقا. تكفل القسم الدراسي منها بدرس شخصية المؤلف، فشمل عصر الحافظ السخاوي، وترجمته وحياته العلمية الحافلة، وقد ظهر فيها تمكنه من العلم والتحصيل، وقدمه الراسخ في عدة فنون بَزَّ بها أقرانه في عصره، وشهد له بذلك علماء زمانه. وفي الباب الثاني جاءت دراسة موضوع الكتاب المحقق ابن العربي الحاتمي، لتكشف عن طبيعة مذهب هذه الشخصية الفلسفية الصوفية، وتحدثت عن ترجمته وحياته العلمية، ثم انتقلت إلى درس اعتقاد ابن العربي؛ بالكشف عن جذور فكره ومذهبه التي اعتمد عليها في صياغة فلسفته الصوفية، وهي جذور متعددة تكونت من الفكر الصوفي الأندلسي والمشرقي، ومن الفلسفات القديمة، ومن الاتجاه الباطني الرمزي في تفسير النصوص، وتطرقت الدراسة إلى أهم أصول مذهبه من قضايا التأويل، والرمز، وتفسيره لنصوص الوحي، وتنظيره لقضية الوحدة والكثرة في الخلق، وربطها بالنسب والاعتبارت، وهي خلاصة مذهبه في وحدة الوجود. وخُصِّص الباب الثالث لدراسة الكتاب ومناقشة مسائله، وبيان منهج المؤلف فيه. أما قسم التحقيق والذي اضطلع بتحقيق الكتاب، فقد قام على ركيزتين أساسيتين؛ ضَبطِ نَص الكتاب وتقويمه من جهة، وخِدمةِ مادته ونصوصه من جهة أخرى. كما عالج كتابُ القول المنبي عدةَ قضايا في مذهب ابن العربي، واجتهد في حسم موقف العلماء منه، وبيان اجتماع فتاواهم وأحكامهم على رد اعتقاده وفلسفته، واعتبارها مخالفة للإسلام، و قد عني السخاوي رحمه الله بجمع هذه الفتاوى والأحكام المفقودة في مصنفه النفيس. وتوصلت إلى نتائج مهمة؛ من أبرزها أن خدمة تراث الأمة واجب حضاري وعلمي، وأن السخاوي مثال للعالم الذي يغار على اعتقاد أمته، وأن إنكار مذهب ابن العربي في التصوف موقف اجتمعت عليه كلمة علماء المسلمين منذ القديم مغربا ومشرقا، شاما ويمنا، فقهاء ومحدثين، لغويين ومفسرين، و لم ينفرد به علماء الاعتقاد دون غيرهم.

الباحث	المشرف	عميد الكلية
خالد بن العربي مدرك	أ.د/ محمود محمد مزروعة	أ.د/ عبد الله الدميجي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عَظُمت آلاؤه، وتَقَدَّست أسماؤُه، وحَسُنت أوصافُه، وجَمُلت ألطافُه، تَفضل على عباده فَأنزَلَ خَاتِمَةَ كُتُبه، واصطفى خَيرَ خلقه، وبَعَث أفضَلَ رُسُلِه، وأكمل لنا أسمى شَرَائِعِه، فَعَرَّفَه بذلك أولياؤه، وجَهِلَها بالإعراض عنها أعداؤُه، سُبحانَه أحدٌ مُتَّصفٌ بِتَمامِ الجلال والكمال، منزه عن الشبيه والمثال بكل حال، وعن دعوى الحلول والاتحاد والاتصال، منشئ الخلق وخالق الأعمال، ومقدر الفلاح والشقاء على من شاء في الآزال، مدبر الكون حكمة منه بالزوال والاعتدال، غني عن الخلائق كلها وهي مفتقرة إليه أجمعها في البداية والمآل.

والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان، محمد بن عبد الله مَن سعد ببعثته الثقلان، وعلى أزواجه وذريته السادة الأشراف، والصحب والتابعين لهم باقتداء واعتدال وإنصاف.

أما بعد:

فقد عاش الرعيل الأول من الصحابة والتابعين حياة عامرة بالورع والخشية من الله تعالى، والاشتغال بطلب العمل الصالح الذي يقرب العبد من ربه، ويرفعه خالصا إلى خالقه، ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ [فاطر/١٠]، فشهد الزهدُ بينهم أرفع صوره، وبلغ معهم منتهى أمده، فأثمر العلم والعمل، والصدق والجهاد، ولم يكن زهد هذا الجيل العظيم اتكالا ولا انزواء، ولا كان علمهم بطرا ورِياء؛ بل هو اشتغال بعلم السنة والكتاب، وتركا لما قد يورث عند العبد أي شك أو ارتياب، وحصل لهم بالوحي الإلهي الغنية والاكتفاء، وارتووا من معينه الصافي كل ارتواء.

ومع نهاية القرن الثاني وبداية الثالث الهجريين فتح على اعتقاد الأمة الإسلامية باب الثقافات الدخيلة بترجمة كتب اليونان والفلسفة القديمة، فبرزت أفكار وافدة على المحيط العلمي بقوة، وأدلى كُلٌّ بدلوه في التعامل معها، واختلفت المناهج في ذلك، وكان من شأن هذا الباب أن أطل على نوافذ خطيرة لم تَنسَدَّ إلى يومنا هذا؛ وهي الفلسفة والأصول الكلامية والتصوف.

وبدأت تنشأ مصطلحات التصوف كعلم مستقل، ومنحى جديد في فهم نصوص الوحي مع الحارث المحاسبي (٢٤٣هـ)، والجنيد (٢٩٧هـ)، وأبي سليمان الداراني (٢١٥هـ)، وظهرت

تلك الاصطلاحات في بعض مصنفاتهم كرسالة المسترشدين للمحاسبي. والحق أن تصوف هذه الطبقة وإن كان قد أحدث في فهم الأمة مصطلحا لم يكن معهودا عند الصحابة والتابعين، أنكرها عليهم بعض الأئمة كالإمام أحمد، إلا أن أصحابه تقيدوا فيه بحدود الوحي، و لم يبتعدوا عن مسلك الأثر قدرا كبيرا، كما تصوره لنا مقولة الجنيد: "الطرق كلها مسدودة على الخلق، إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ واتبع سنته، ولزم طريقته"[1]، وقولة أبي سليمان الداراني: "ربما يقع في قلبي النُّكتةُ من نكت القوم أياما، فلا أقبل منه بشاهدين عدلين: الكتابِ والسنةِ".[2]

واستُبدِل منذ هذا الوقت اسمُ النُّساك عند السلف، بالتصوف والفقراء،[3] وبقي تصوف مشايخ هذه الطبقة دائرا حول نصوص الوحي إجمالا، كما يقرر ذلك الإمام ابن تيمية بقوله: "والثابت الصحيح عن أكابر المشايخ يوافق ما كان عليه السلف، وهذا هو الذي كان يجب أن يذكر".[4]

إلا أن التصوف سيعرف منعرجا خطيرا بعد هذه الطبقة، بمولد تصوف من نوع آخر يحمل بين طياته مزيجا من الأفكار الباطنية، والثقافة الهندية القديمة، ومذاهب الفلسفة الإشراقية، إنه التصوف الفلسفي الذي رَفَع به عقيرته الحسين بن منصور الحلاج المتوفى سنة (٣٠٩هـ) ببلاد المشرق، وجهر فيه بمحالات العقول، وخالف فيه أصول الإسلام التي أفنى الأعمار في شرحها الأئمة الفحول، فانتهى أمره بالقتل حكما بردته من قضاة الإسلام العدول.

ومن أَسَفٍ أن قضية التصوف الفلسفي لم يقضى عليها بقتل الحلاج، بل وجدت من يحمل لواءها في الغرب الإسلامي بقوة في القرنين السادس والسابع الهجريين.

فالتصوف الفلسفي بلغته الغامضة المعقدة، التي تجمع بين نوعين من المعرفة؛ بين الذوق والوجد الصوفي، وبين الفكر الفلسفي العقلي المجرد، يختلف تمام الاختلاف عن تصوف المشايخ المتقدمين الذي عرفته الأمة؛ لامتزاج الأذواق الصوفية فيه بالنظر العقلي الفلسفي.

---

(1) طبقات الصوفية للسلمي ص: (١٥٩).

(2) المصدر نفسه ص: (٧٨).

(3) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص: (١٢٩).

(4) الاستقامة لابن تيمية ٨٢/١.

وكان ممن حمل لواء هذا اللون مِن الفلسفة الصوفية رَجُلٌ عاش في بيئة شهدت تحولا كبيرا بدخول كتب الفلسفة الشرقية إلى الأندلس مع ابن رشد الفيلسوف، وترجمته لكتب أرسطو بعد أن كانت محذورة بالغرب الإسلامي، كما وجد رصيدا قويا من تراث فلسفي صوفي متقدم مع ابن دَهَّاق، وابنِ أَحْلَى، وأبي عبد الله الشوذي،(٥) فعمل جاهدا على الإفادة منه، وتوظيفه بمزج هذه الثقافات الدخيلة المختلفة والمعقدة في وقت واحد، لصياغة مذهب فلسفي صوفي غريب؛ إنه محيي الدين محمد بن علي ابن العربي الحاتمي الطائي الأندلسي المولود عام ٥٦٠هـ والمتوفى سنة ٦٣٨هـ بمدينة مُرْسِية الأندلسية، والذي أنشأ في فكر الأمة الإسلامية تصوفا فلسفيا خطيرا عانت من تبعاته ولا تزال تعاني إلى اليوم.

وقد جعله الصوفية في وقته وبعد موته قبلتهم في الفهم والتفكير، والاستدلال والتنظير، واحتل كتابه الفتوحات المكية في علم التصوف مكانة ركيزة، لم يكن الصوفية والفلاسفة يستغنون عنه بحال، فهو عند القوم بمثابة كتاب الموافقات للشاطبي في الأصول، وأسرار البلاغة للجرجاني في البلاغة، وكتاب سيبويهِ في النحو، ومقدمة ابن خلدون في علم الاجتماع والتأريخ للأمم، حتى عَدَّه بعض الصوفية دائرة معارفٌ صوفية.

وبلغ من شهرة ابن العربي الحاتمي عند الصوفية أن كل كتاب لا يعرف له مؤلف، ينسب إليه على أنه هو مؤلفه، وحظي مذهبه باهتمام كبير لدى سلاطين العثمانيين، فشيدوا قبره بدمشق، وبنوا بجواره مدرسة باسمه، وأوقفوا عليه أوقافا تُصرف عليه صيانةً وحفظاً.

هذا وقد ظن بعض بسطاء الناس اليوم أن مذهب ابن العربي الحاتمي في وحدة الوجود قد انتهى أمره، و لم يعد له في الأمة ذكر، وأنه لا حاجة بنا إلى إعادة دراسة مذهبه لكونه مات ودُفِن؛ وما ذلك إلا لقلة معرفتهم بأحوال الأمور، وما يجري في ساحات العلم والفكر بالجامعات الأوربية، ومراكز الدراسات والبحوث من اهتمام وإشادة بفكر ابن العربي وفلسفته، وسعيهم في تقديمه للأمة والناشئة على أنه تراث صوفي مهم ينبغي إحياؤه من جديد، والاعتماد عليه في الفهم، فخصصوا مؤسسات علمية مختصة لدرس تراث ابن العربي الحاتمي تحقيقاً، وبحثا في قضاياه، فكان من ذلك أن أنشئ مركز خاص لدراسة تراث محيي الدين ابن العربي الفكري

---

(٥) راجع تراجم جميع هؤلاء عند موضعها من النص المحقق.

والعقدي والفلسفي بمدينة مُرْسِية Murcia بإسبانيا، تابعا لجامعة مرسية بها، وأقيم معهد للبحوث والدراسات الحاتمية مثيل له في بريطانيا، وعُقِد أول مؤتمر حول ابن العربي الحاتمي في إسبانيا قبل عدة سنوات دُعي له عدد من كبار الشخصيات العلمية العربية، والمستعربين الأوربيين، من المشتغلين بدراسة مذهبه، وقبل هذا كان الاحتفال بالذكرى المئوية الثامنة لميلاده سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، قدمت فيه أوراق دراسة عن ابن العربي من قبل عدد من الدارسين،وفي بلد عربي قررت ندوة عن ابن العربي تحت عنوان "الندوة الحاتمية علوم ومعارف الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي" وكان ذلك في عام ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، قدمت فيها عروض وأوراق عمل وبحوث عن مذهب ابن العربي، ناهيك عن حضور المستعربين الذين بلغ اهتمامهم بهذا الفيلسوف الصوفي، قدرا جعلهم يخصصون له حيزا من بحوثهم في مؤتمراتهم الإستشراقية، كما حصل في المؤتمر الرابع عشر على سبيل المثال. وقبل شهر واحد من هذا التاريخ، أعني محرم الماضي من هذا العام أسدل الستار عن ندوة كبيرة حول التصوف بعنوان "الندوة الثامنة حول الفن والتصوف" ببلاد الشام، نظمها الملحق الثقافي الإسباني بها، استمرت فعالياتها زهاء ثلاث أيام، وكان لابن العربي منها نصيب الأسد، بحضور عدد من المهتمين بفكر ابن العربي والدارسين له من العالم.

كل هذا وذاك لتأكيد مدى الاهتمام البالغ بمذهب ابن العربي، والسعي الحثيث لإحياء فكره وتراثه، ولا تزال دراساتهم جارية حول ابن العربي الحاتمي بقوة، يرثون هذا الاهتمام به جيلا بعد جيل، فبعد طبقة المستعرب الإسباني أسين بلاثيوس، والمستعرب الإنكليزي نيكلسون، والمستعرب الفرنسي عاشق الحلاج ماسنيون، تأتي طبقة الفرنسي علي شودكيفيتش، وكولولوس فارونة، وغيرهم من أضراب المستعربين في كل من ألمانيا وإسبانيا وفرنسا وبريطانيا، والذين لا تزال تصدر عنهم دراسات وبحوث بعدة لغات حول مذهب محيي الدين ابن العربي، تنشر بين جميع الشرائح الفكرية للاطلاع عليها، وهم بذلك يهدفون إلى تلميع هذا الفيلسوف الصوفي، وتصوير مذهبه للناس على أنه جهد معرفي بشري يستحق المطالعة والدرس.

وقد ساهم في هذه الغاية بعض أبناء جلدتنا من الباحثين المسلمين فتخصصوا في درس فكر ومذهب ابن العربي، وتحقيق ونشر كتبه وتراثه من أمثال د. أبو العلا عفيفي، ود. عثمان يحيى

عاشق ابن العربي، ود. سعاد حكيم، ومحمود الغراب، وغيرهم كثير وأصدروا لأجل هذه الغاية دراسات وبحوثا لها قيمتها عند الدارسين لهذا المذهب.

ومن الغرابة في الغرابة أن بعض من يحسبون على العلم والفكر والثقافة ممن هداهم الله تعالى للإسلام، وتوسَّم الناس فيهم خيرا بالدفاع عن قضايا الإسلام بلسان قومهم، يرفعون شعار الدعوة إلى مذهب ابن العربي، والاعتزاز بفكره وتصوفه الفلسفي، أعني بهذا المفكر روجيه جارودي، الذي فاجأ الساحة العلمية قبل سنوات بكتابه "ما يَعِدُ به الإسلام" يقرر فيه تمجيد فكر رموز التصوف الغالي كالحلاج والجلال الرومي ومن على شاكلته، ويدعو فيه الفكر الأوربي إلى العودة لفلسفة ابن العربي، والانطلاق منها لأنها ـ حسب قوله ـ تعبر عن جوهر الإسلام.

أقول هكذا يقدم جارودي الإسلام إلى الإنسان الأوربي بثوب مُشَوه، يمزج فيه جميع الأديان والمذاهب والعقائد في إطار وحدة مشؤومة، ويجعل قضايا ابن العربي الوجودية التي أزعجت المسلمين ردحا من الزمن هي سبيل النهوض الحضاري، ومواجهة المادية الفكرية، وكان الأجدر به وهو ذو وزن ثقافي بين الأوربيين أن يصور الإسلام لبني جلدته انطلاقا من صور الصحابة والتابعين المشرقة، والتي انطلقت من الكتاب والسنة، بعيدة عن مذهب وحدة الوجود المظلم.

كل هذه الأرقام والمعلومات تُنْبِيك عن أهمية قضايا ابن العربي الحاتمي في نظر كثير من الأوساط العلمية في عصرنا، مما يجعل واجب صدور بحوث علمية أكاديمية تدرس مذهبه، وتكشف عن مخالفته لأصول الإسلام واجبا محتما، وبخاصة إذا كانت نابعة من مؤسسات علمية رشيدة مبنية على أصول أهل السنة والجماعة.

وقد كنت أتشوف منذ دراستي الجامعية إلى الكتابة في موضوع التصوف، لما وجدته من اهتمام من حاملي فكره من العمل على إحيائه وإعادة بعثه، ولم أكن أعلم أن الأقدار ستدفعني إلى كبير القوم، ومقدم الطائفة ـ أعني ابن العربي ـ، حتى أفاء الله تعالى عليَّ بالاطلاع على علق نفيس من أعلاق تراثنا المجيد، وسفر عظيم يغني الدارس لموضوعه عن حمل الأسفار في الأسفار، إنه كتاب **القول المنبي عن ترجمة ابن العربي**، لعالم محدث كبير، ومجتهد ناقد بصير،

وضابط متقن طُلَعة نحرير، للحافظ أبي الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي القاهري نزيل الحرمين الشريفين، المولود سنة ٨٣٢هـ، والمتوفى عام ٩٠٢هـ، والذي أثنى عليه جمع من الحفاظ والعلماء، فقال فيه شيخ المحدثين الحافظ ابن حجر العسقلاني: "الشيخ الفاضل المبارك، الفاضل المحدث، البارع النبيه المفنن، الأوحد المكثر المفيد، المحصل المجيد في الطلب الطلب الجميل"، وأثنى عليه صاحبه الحافظ النجم عمر بن فهد الهاشمي بقوله: "وهو والله بقية من رأيت من المشايخ، وأنا وجميع طلبة الحديث بالبلاد الشامية والبلاد المصرية، وسائر بلاد الإسلام عيال عليه، والله ما له في الوجود نظير"، واعترف له بالتمكن عَصريُّه الحافظ البقاعي ووصفه بالمحدث البارع الأوحد، والمفيد الحافظ الأمجد، وأقر له بمثل ذلك التمكن في علم الحديث، والضبط في سماعه الحافظ السيوطي رغم ما كان بينهم من المشاحنة والمنازعة، وأطراه العلامة الشوكاني بوصفه قائلا: "ولو لم يكن لصاحب الترجمة من التصانيف إلا الضوء اللامع لكان أعظم دليل على إمامته".

ومختصر القول أن الحافظ السخاوي رحمه الله صفحة مشرقة من صفحات العلماء في العلم والتحصيل، لما رُزِق من التمكن والضبط والتفنن.

ولم يكن يجول بخاطري البتة أن الحافظ السخاوي الذي أفنى عمره في درس الحديث والتاريخ، أن يهتم بقضية على درجة من الأهمية عند المشتغلين بمسائل الاعتقاد، وهي مذهب وفكر ابن العربي الحاتمي؛ إذ لم يعرف عنه هذا المَنْزَع والاهتمام، وزورت في نفسي: ما عسى الحافظ السخاوي أن يأتي به من جديد في هذا الباب؟ ألا يكون مرددا لما كتب قبله في نقد ابن العربي؟

فاستجلبت نسخة خطية من الكتاب، وهي النسخة الآصفية الهندية، وبدأت في جردها قراءة وتأملا، فما كدت أنتهي من قراءة الكتاب حتى أدركت أنه سِفر نفيس من تراث أمتنا اليتيم الذي اكتنفه الضياع والإفساد، وعلمت بحق أن كتاب الحافظ السخاوي القول المنبي وثيقة تاريخية بالغة الأهمية في درس ابن العربي الحاتمي، والفصل في موضوع موقف العلماء منه قديما بلا رَجْعَة، وأنه لا ينبغي التفريط في تحقيقها وخدمتها، لتقدم إلى الباحثين والقراء من المهتمين بتراث هذه الأمة المجيدة، أكلا شهيا صِحاً غَدَقاً، وسرعان ما أدركت أن أمر الكتاب بين جميع

ما أُلِّف في هذا الباب كما قال حافظ بلاد المغرب ابن رُشَيد السبتي في وصف كتاب مقدمة ابن الصلاح في الحديث:

لِكُل أُنَاسٍ جَوهَرٌ مُتَنَافِس وأنت طِرَازِ الآنِسَاتِ الملائِحُ

وبدأت في استشارة مشايخي وأساتذتي الحُذَّاق من نُجُب الرجال، وإخواني الباحثين من ذوي البصيرة والقريعة، فأشاروا عليَّ بعدم التردد لحظة في التقدم به موضوعا لرسالة الماجستير بفرع العقيدة، وتمت بالفعل موافقة مجلس القسم الموقر عليه، ثم مجلس الكلية المحترم في جلسته الحادية عشر بتاريخ ١٤١٨/١/٢٨هـ، فسُررت غَايَةً، وحمدت الله غايَةً.

أهمية الموضوع والباعث على اختياره:

أهمية دراسة مذهب ابن العربي الحاتمي لا تحتاج إلى بيان أو توضيح، وبخاصة عندما نعلم خطر انتشار هذا المذهب بين المسلمين، وتأثر عدد من أصحاب الأقلام والتوجيه في الأمة بهذا المذهب، وأثر ذلك السيئ على العقيدة والفكر، وحاجة أهل العلم إلى دراسات عقدية جيدة مبنية على أصول السلف حول مذهب محيي الدين ابن العربي تمكنهم من الدفاع عن الحق، وحماية اعتقاد المسلمين من هذا المتزلق الخطير، والهاوية السحيقة، وقد دعم هذا الاختيار بتحقيق كتاب الحافظ السخاوي في ابن العربي ما يلي:

١- تعيش الأمة الإسلامية هجوما عنيفا على اعتقادها وفكرها، يتمثل في زرع الشبهات بين أهل الإسلام، وإحياء فكر بعض الرموز الباطنية والفلسفية من تاريخ الأمة، والسعي في نشر هذه المذاهب، حتى ينشغل المسلمون وأصحاب الفكر والأقلام بموضوعات تصرفهم عن أصول الوحي القرآن والسنة، وعن الاهتمام بمنهج سلف الأمة.

٢- يشهد الفكر الصوفي في عصرنا اهتماما كبيرا من قبل دعاته لإحيائه من جديد، وصرف المسلمين عن الكتاب والسنة، ومن ذلك مذهب ابن العربي الحاتمي؛ بتدريس كتبه في بعض المساجد على عوام الناس، وتحقيق تراثه، ودرس قضاياه. مما يدعو أهل العلم من أهل السنة والجماعة إلى الاجتهاد في درس قضاياه دراسة تغني المسلمين عن الرجوع إلى غيرهم لمعرفتها.

٣- خطورة القضايا العقدية التي طرحها ابن العربي في مصنفاته، من الوحدة الإلهية، وتصويب جميع الاعتقادات والأديان والمذاهب، ومذهبه في الولاية القائم على تفضيلها على النبوة، وإنكار العذاب الأخروي الذي توعد الرب تعالى به الكفار والعصاة من خلقه، وتقريره الخطير والمعقد في نفس الوقت لمذهبه في وحدة الوجود، بتلاعبه بالألفاظ والاصطلاحات، وإشعار الناظر في مذهبه بالتناقض والاختلاف في تقريره لهذا المذهب، إذا لم يفهم أصل مذهبه في التفريق بين النسب والاعتبارات، ومجلى الأحدية والواحدية.

٤- يزعم كثير من أصحاب الفكر الصوفي أن رد مذهب ابن العربي الحاتمي، لم يكن سوى نزعة مغرضة من تقي الدين ابن تيمية الحنبلي، ورثها لتلاميذه وأصحابه كابن القيم، وابن كثير، والذهبي ونحوهم، وأن قول أكثر العلماء والفقهاء بالتماس التأويل لكلامه المشكل، وقبول كثير من أصوله الصوفية، بينما يجد ابن تيمية نفسه مع تلاميذه وحيدا في الإنكار على ابن العربي الحاتمي.

وهذه بلا ريب مغالطة نابعة عن تعصب، أو قلة دراية بنصوص العلماء في مذهب ابن العربي، فقد أثبت الحافظ السخاوي الذي لم يكن أبدا محسوبا على أصحاب ابن تيمية، ولا عُرف عنه الاشتغال بالتصنيف في القضايا العقدية، بغيرة العالم البصير على اعتقاد أمته، لما رآه من فتنة الناس بمذهب ابن العربي أن من الواجب عليه التصنيف في بيان حال مذهب محيي الدين الحاتمي عند العلماء، فأورد ما يربو عن مائة وخمسين ١٥٠ فتوى لعلماء محدثين وفقهاء وأصوليين ونحويين ومفسرين، ومن مختلف المذاهب حنفية ومالكية وشافعية وحنبلية، مشرقا ومغربا، وشاما ويمنا، ومصرا وحجازا، كُلهم أجمعون أكْتَعون ينصون على رد مذهبه، واعتباره فلسفة صوفية دخيلة على اعتقاد الأمة الإسلامية، بعيدة عن أصول الأنبياء والمرسلين التي أرسلهم الله تعالى لدعوة الناس إليها.

وهذا لعمري من أهم المقاصد التي اضطلع كتاب الحافظ السخاوي بها، وجعلته ينص على أن كتابه القول المنبي، جامع في بابه، حافل لا مزيد عليه.

٥ – مكانة الحافظ السخاوي العلمية، فهو بحق عالم متقن، وحافظ متفنن، امتازت مصنفاته بجودة في التحرير والضبط، وعرفت بالغاية في الإتقان، والإتقان في الاستدلال بالنصوص، والتنوع في المصادر مما يؤكد بما لا يدع مجالا للشك تنوع رصيده المعرفي.

٦ــ جمع الحافظ السخاوي في مصنفه الحافل عن ابن العربي القول المنبي، قدرا كبيرا من نصوص العلماء والحفاظ، والتي تعد اليوم في ذاكرة الفقدان، وطي النسيان، من كراريس ومعاجم وفتاوى، ونقول من كتب أمهات، ومصادر أصول، تَظهر لمطالع هذا الكتاب جليا من خلال الفهرس الذي صنعته للكتب الوارد ذكرها في نص الكتاب. فإخراج سفر نفيس مثل هذا حفظ لنا تراثا علميا مهما، ونصوصا من كتب مفقودة، يُعد بلا ريب إحياء لتراث الأمة، وحفظا لكنز معرفي عظيم من كنوزها الضائعة.

٧– كتاب الحافظ السخاوي في ابن العربي الحاتمي القول المنبي، أضخم وأتقن وأشمل مصنف زخرت به خزانة العلماء الأقدمين في ابن العربي الحاتمي، جمع كَمًّا هائلا من النصوص التاريخية، والفتاوى والأحكام في موضوعه وبابه، لا يمكن مقارنته بأي حال مع كتاب آخر مصنف في ابن العربي الحاتمي، لما امتاز به من جودة التصنيف، والجمع المتقن لمادته العلمية، والسبك الرائع لأفكاره، والطرق الجيد لمسائله.

٨– الاهتمام بالنقل عن علماء اشتهروا بالدفاع عن السنة، وأبلوا البلاء الحسن في الرد على الطائفة الوجودية، وبيان عورها، في المشرق والمغرب، فمن علماء المغرب الحافظ ابن الزبير الغرناطي الذي صنف في الرد عليهم ثلاثة مصنفات نفيسة لم يصلنا إلى الآن شيء عنها، واستفاض في حكاية أحوالهم الحافظ أبو حيان الغرناطي في كتابه النفيس الذي أسماه "النِّضار في المَسْلاة عن نِضَار" لا نعلم عن وجوده شيئا، والحافظ ابن الدراج السبتي بكتابه العظيم المفقود عن الطائفة الشوذية، ومن علماء المشرق الحافظ ابن نقطة البغدادي، ومن مصر الحافظ ابن حجر العسقلاني، والسراج البُلقيني، والتقي السبكي، وزين الدين العراقي، ومن الشام الحافظ تقي الدين ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، وشمس الدين الذهبي، ومن الحجاز تقي الدين الفاسي، ومن اليمن الحسين الأهدل، وابن المقري، وابن نور الدين.

واللائحة طويلة جدا يتنقل فيها السخاوي رحمه الله بين أرجاء العالم الإسلامي، وبين العلماء وأهل الفنون، في نقول تاريخية مهمة، واستقصاء في النصوص عجيب، يَنِم عن ذوق علمي عال.

٩- تناول الحافظ السخاوي في هذا المجلد الحافل بعض القضايا المهمة في مذهب ابن العربي الحاتمي، كقضية التأويل وهل يصح مذهب الصوفية في تأويل كلامه؟ وتكلم عن حال كتب ابن العربي بين القضاة والعلماء والأمراء في مختلف الحواضر والبقاع، وتطرق إلى بيان أحوال الناس في ابن العربي الحاتمي، وتناول قضية ثناء بعض العلماء الأفاضل على ابن العربي، أو توقفهم عن الكلام فيه، ودرس هذه المسألة درسا جيدا، وتوصل إلى أنها لا يستقيم أن تكون حجة لتأويل كلامه، يطبع ذلك كله المناقشة العلمية الهادفة.

كما أن الحافظ السخاوي لم يُسبق من قِبَل مَن صنف في ابن العربي الحاتمي نقدا، بالتطرق إلى مثل هذه القضايا، فهي وليدة فكره ودرسه.

١٠- خرج الحافظ السخاوي عن مقصد العلماء من التصنيف في ابن العربي، ببيان هل يكفر عينه أم لا؟ إلى دراسة مذهبه الوجودي، وبيان قبيح فكره وكلامه، ووزن هذا المذهب الصوفي عند العلماء والفقهاء، وهل يقبل الإسلام هذا المذهب أم أنه يتناقض مع أصوله وثوابته؟

واهتم الحافظ السخاوي بالكشف عن موقف بعض العلماء الذين عرف عنهم التصوف؛ بل أحيانا الميل إلى ابن العربي؛ ونقل عنهم نصوصا صريحة في إبطالهم لمذهبه، وعدم ارتضائه تصوفا، واعتباره فلسفة عقلية محضة، بعيدة عن تصوف المشايخ المتقدمين، وهذا بلا شك من القوة في الحجة، لأنها من باب وشهد شاهد من أهلها.

عملي في دراسة الكتاب
ومنهجي في تحقيقه

يتألف العمل في هذا الكتاب من قسمين: دراسة وتحقيق.

القسم الدراسي: سلكت في دراسة الكتاب دراسة قائمة على جمع المادة العلمية اللازمة لمثل هذه الدراسة، واستخدام المنهج التحليلي والوصفي أثناء دراسة النصوص، ومحاولة القراءة بين السطور بقصد الوصول إلى مكامن النص وأغواره، تحصيلا للنتائج الصحيحة، ووزعت الدراسة على ثلاثة أبواب:

الباب الأول تناول شخصية المؤلف بالدراسة والتحليل، وجاءت الخطة شاملة للعناصر المهمة التي ينبغي أن تُطرق في دراسة شخصية مثل الحافظ السخاوي، لكثرة جوانب الدراسة وتعدد صورها، وتَوَزع إلى فصلين:

الفصل الأول: عُني بعصر السخاوي وترجمته في مبحثين: درست فيهما الحالة السياسية، والعلمية والدينية لهذا العصر، وأظهرت مدى تأثيرها على شخصية المؤلف، وانتقلت لترجمة للمؤلف ترجمة تعين على وصف معالم شخصيته من حيث النشأة والبيئة العلمية، واعتمدت فيه بالدرجة الأولى على ترجمته الذاتية لنفسه كمادة علمية كافية وأساس في هذه الدراسات.

الفصل الثاني: تناول الحياة العلمية للسخاوي، وهو في خمسة مباحث، درست فيها نبوغه في العلم، وصبره على التحصيل، من خلال شيوخه ومروياته ورحلاته العلمية، والأعمال التي قام بها، و الوظائف التي تقلدها، وتلاميذه الذين أفادوا منه، وثناء العلماء عليه، ومكانته العلمية بين أقرانه من جهة، وبين شيوخه من جهة أخرى، دون أن أغفل الحديث عن مذهبه الفقهي، ومنهجه العقدي. وختمت هذا الفصل في مبحث خصصته للحديث عن عطائه العلمي المتمثل في تراثه الضخم والكبير الذي خلفه لنا قبل موته، وهو تراث يُنْبِي عن التفنن والتمكن، وعن موسوعيته العلمية، وجودته وإتقانه في التصنيف.

الباب الثاني: عُني بدراسة موضوع الكتاب المحقق ابن العربي الحاتمي، ونظرا لطبيعة الشخصية الفلسفية الصوفية، وأن الكتاب المراد تحقيقه في دراسة مذهبه ورأي علماء الإسلام فيه، فإنني لم أتوسع في نقد مسائله العقدية الكثيرة، واكتفيت بطرق أهمها، وتصويرها من خلال كتبه، لأن الكتاب المحقق اهتم بهذا الجانب كثيرا، وحتى لا تكون مصادرة على المطلوب.

وجاء هذا الباب في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: خُصِّص لترجمة محيي الدين ابن العربي الحاتمي، ويضم ثلاثة مباحث: تناولت فيها اسمه ونسبه وكنيته ونسبته، ومولده وأسرته وموطنه، وختمته بإلقاء الضوء عن نشأته العلمية.

الفصل الثاني: تكلمت فيه عن حياة ابن العربي العلمية، وقسمته إلى ثلاثة مباحث، كان الحديث فيها عن شيوخه ورحلاته العلمية، وتلاميذه الذين أخذوا عنه، ومصنفاته ووفاته.

الفصل الثالث: اجتهد في درس عقيدة ابن العربي وموقف العلماء منه، وهو في ثلاثة مباحث: تحدثت فيها عن مذهبه الفقهي، ثم انتقلت للكلام عن مذهبه العقدي، وكان الدرس فيه قائما على إبراز جذور ابن العربي العقدية التي أثرت في مذهبه وفكره، واستخدمها في صياغة فلسفته الصوفية، ثم انتقلت للكلام عن مذهبه في وحدة الوجود، ومفهوم الوحدة والكثرة في مذهبه، واستعرضت موقفه من عدة قضايا كالتأويل، والرمز، واللغة، ونصوص الوحي، وأفردت الكلام عن أبرز قضايا مذهبه وفكره دون توسع في النقد لما سبق الإلماع إليه.

وخُتم هذا الفصل بالكلام عن موقف العلماء منه عبر العصور، وكان التركيز في هذا المبحث على مادة الكتاب المحقق، لكونه اجتهد في إبراز هذه القضية بشكل لا مزيد عليه.

الباب الثالث: جعلته موزعا على ستة مباحث: وتناولت فيه دراسة الكتاب بمناقشة مسائله، وإظهار قيمته، وبيان منهج المؤلف فيه، مع الكلام عن صحة نسبته إلى المؤلف، وعنوانه، والباعث على تأليفه، ومصادر المؤلف فيه، والمآخذ عليه، والكتب المصنفة في موضوعه، والنسخ الخطية المعتمدة في التحقيق.

أما عن قسم التحقيق: والذي يقوم على ركيزتين اثنين: ضبطِ نَصِّ الكتاب وتقويمه، وخدمة مادته ونصوصه، وذلك لبلوغ الغاية من تحقيق أي نص تراثي؛ وهي إخراج الكتاب على أقرب صورة أراد عليها المؤلف. وقد سلكت لأجل هذا المقصد خطوات كانت منهجا للمحققين المتقنين من الأمناء على نشر تراث هذه الأمة في عصرنا، يمكن تلخيصها في التالي:

١ــ على مستوى ضبط النص ومقابلة النُّسخ:

أ- حققت الكتاب على ثلاث نسخ خطية، وجعلت نسخة برلين أصلا أعتمد عليه للاعتبارات المذكورة عند مبحث وصف النسخ المعتمدة، واستعنت بباقي النسخ في ضبط النص، ونبهت على الفروق بين النسخ في الحاشية، وإذا وجدت تصحيفا أو تحريفا أو سقطا في نص النسخة الأصل المعتمدة، وكان الصواب في نسخة أخرى فإنني لا أجمد على نص النسخة الأصل، بل أثبت ما أجده من صواب في النص من النسخ الأخرى، وأجعل النص الآخر مرجوحا عندي، وأنبه على كل ذلك في الحاشية، وحرصت على عدم التدخل في نص المؤلف، والحفاظ عليه مهما كان إشكاله ما دامت النسخ لم يرد فيها ما يرجح الصواب، إلا في النادر القليل عندما يتأكد لي الخطأ في جميع النسخ، كأن يكون علما محرفا في جميع النسخ، أو تكون العبارة خطأ فيها جميعا، فإنني أثبت ما اتفقت عليه المصادر في النص بجعله بين علامتين، وأنبه على ذلك في الحاشية بذكر الموجود في النسخ، وهذا لا يحصل إلا نادرا لحرصي على عدم إقحام قلمي في النص، والاكتفاء بمجال الحاشية في التنبيه على ما أريده. وقد اقتنعت في ذلك بمنهج الخطيب البغدادي في تصحيح النصوص، خلافا للقاضي عياض.

ز- راعيت ضبط النص وفقا للتنقيط المشرقي المتعارف عليه اليوم، والقواعد الإملائية.

ش- رقمت فتاوى العلماء وأحكامهم التي ذكرها المؤلف في الفصل الثامن تسهيلا على القارئ، وفعلت مثل ذلك مع الأعلام الذين رتبهم المؤلف على حروف المعجم في الفصل السادس، حتى لا يكون اجتماعهم حشرا دون ترقيم.

٢ــ عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها، بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٣ــ خرجت الأحاديث والآثار من مصادرها، بذكر رقم الحديث، واسم الكتاب والباب، ولا ألتزم بذكر رقم الجزء والصفحة، وأبين درجة الحديث وحكم العلماء على الإسناد تصحيحا

أو تضعيفا، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بهما في الغالب، وإذا كان الحديث في غير الصحيحين توسعت قدر الإمكان بذكر مصادر تخريجه وحكم العلماء عليه، وسلكت في تخريج الآثار مسلك الاختصار دون نقل حكم العلماء عليها.

٤ـ ترجمت الأعلام[٦] المذكورين في نص الكتاب عند أول ذكر العلم في الغالب، وأعرضت عن الترجمة للمشهورين من الأعلام، واقتصرت على تعريف المغمورين منهم، فشهرتهم أغنت عن الترجمة لهم. والقضية كما هو معلوم خلافية بين شيوخ البحث، وضبط النصوص التراثية، فلا حرج عليَّ إن اخترت ما رأيته صوابا من مناهجهم، ما دمت لم أحدث منهجا جديدا.

٥ـ عرفت بالبلدان والأماكن المغمورة، والفرق والمذاهب والطوائف والمدارس العلمية.

٦ـ عزوت ما وقفت عليه من الأبيات الشعرية، والأمثال العربية إلى مصادرها، مع الاهتمام بضبطها بالحركات.

٨ـ شرحت غريب اللغة من كتب اللغة، وبينت غريب الحديث، وشرحت الاصطلاحات الصوفية من مصادرها.

٩ـ أعملت قلمي بالتعليق على المسائل العلمية عقدية كانت أم فقهية أم تاريخية مع الإحالة على المصادر المعتمدة.

١٠ـ وثقت النصوص من مصادرها مطبوعة كانت أو مخطوطة، وعرفت بالمصادر التي لم أقف عليها مخطوطة.

١١ـ وضعت عناوين جانبية توضح الفكرة باختصار في الهامش، تسهيلا على القارئ لفهم مدلول النص.

١٣ـ عزوت أبيات الصوفية التي يستدل بها المؤلف على مذهبهم لابن العربي وابن الفارض عند ورودها أول مرة، ولا أعزوها مرة أخرى لكثرة تكرار المؤلف لها ذكرا.

١٤ـ اقتصرت في فهرس الأعلام، والكتب، والأماكن والبلدان، والمذاهب والفرق، والأشعار على فهرسة الكتاب المحقق دون الدراسة، لكون مطالع الكتاب إنما يحرص في العادة على

---

(٦) يصح قولهم لغة: ترجمه أي فسر كلامه. وانظر إن شئت: لسان العرب، وتاج العروس مادة [ترجم].

الوقوف على كلام المؤلف في العَلَم؛ من حيث نَقلُه عنه، أو تَعَقُّبُه له، بينما لا يحصل ذلك مع مقدمة دراسة محقق الكتاب، ويكفي القارئ من هذه الدراسة موضوعاتها، وعلى جميع الأحوال فهو منهج متبع في فهرسة الكتب المحققة عند بعض الباحثين، ولا ضير على من اختاره.

١٥ـ قمت بصنع فهارس علمية تجعل مادة الكتاب في متناول مطالعه وهي كالآتي:

أ/ كشاف الآيات القرآنية.

ب/ كشاف الأحاديث النبوية.

ج/ كشاف الآثار.

ح/ كشاف الأعلام.

خ/ كشاف الكتب الواردة في الكتاب.

د/ كشاف المذاهب والفرق.

ذ/ كشاف الأماكن والبلدان والمدارس العلمية.

ر/ كشاف الأشعار مرتبة حسب القافية.

ز/ فهرست المصادر والمراجع.

ز/ فهرست موضوعات الدراسة.

ط/ فهرست موضوعات الكتاب المحقق.

خطة البحث

جعلت خطة البحث مقسمة إلى: مقدمة البحث، والدراسة، والتحقيق، والخاتمة.

مقدمة البحث: وتتكون من النقاط التالية:

١- أهمية الموضوع والباعث على اختياره.

٢- عملي في دراسة الكتاب ومنهجي في تحقيقه.

٣- خطة البحث.

القسم الأول: الدراسة.

ويتكون من ثلاثة أبواب:

الباب الأول: دراسة عن الحافظ شمس الدين السخاوي.

ويتكون من فصلين:

الفصل الأول: عصر السخاوي وترجمته.

ويضم مبحثين:

المبحث الأول: عصر السخاوي من الفترة (٨٣١-٩٠٢هـ)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الحالة السياسية.

المطلب الثاني: الحالة العلمية والدينية.

المبحث الثاني: ترجمة السخاوي.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه ونسبته

المطلب الثاني: مولده وأسرته وموطنه

المطلب الثالث: نشأته وطلبه العلم.

الفصل الثاني: حياة السخاوي العلمية.

ويتكون من خمسة مباحث:

المبحث الأول: شيوخه ومروياته ورحلاته العلمية والأعمال التي قام بها.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: شيوخه الذين أخذ عنهم ومروياته.

المطلب الثاني: رحلاته العلمية.

المطلب الثالث: الأعمال والوظائف التي قام بها.

المبحث الثاني: بعض تلاميذه الذين أفادوا منه.

المبحث الثالث: منزلته العلمية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ثناء العلماء عليه.

المطلب الثاني: مكانة السخاوي العلمية.

المبحث الرابع: بيان عقيدته ومذهبه.

المبحث الخامس: تراثه العلمي ووفاته.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تراثه العلمي.

المطلب الثاني: وفاته.

الباب الثاني: دراسة عن محيي الدين ابن العربي الحاتمي.

ويتكون من ثلاثة فصول:

الفصل الأول: ترجمة محيي الدين ابن العربي الحاتمي.

ويضم ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته ونسبته

المبحث الثاني: مولده وأسرته وموطنه

المبحث الثالث: نشأتـــه وطلبه العلم

الفصل الثاني: حياة ابن العربي العلمية

ويضم ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: شيوخه ورحلاته العلمية

المبحث الثاني: تلاميذه الذين أخذوا عنه

المبحث الثالث: مصنفاته ووفاته